(النهي عن السخرية)

الحمد لله رب العالمين نهى عباده عن السخرية بالخلق والإستهزاء بهم والله بكل شيء عليم ، لاإله غيره ولا معبود سواه ، نحمده سبحانه وتعالى ونشكره ونتوب إليه ونستغفره...ونشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له القائل : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) ونشهد أن سيدنا ونبينا محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القائل : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ ، وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلاَ لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلاَّ بِالتَّقْوَى) .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً...

وبعد فقد قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) .

• عباد الله : لقد جاء قوله تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) قبل الآية التي معنا ليبين لنا ربنا بأن الإيمان هو النسب بين المؤمنين ولم لا ؟ فهذا نوح عليه السلام ينادى ربه قال تعالى : (وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) وفى الحديث : (وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ) فلايحل لمسلم أن يسئ الظن بإنسان حتى يتبين منه الأمر كما أمرنا ربنا فقال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) ولايحل لمسلم أن يسخر ممن دونه فى علم أو رزق أو خلقة! لأن الناس يتفاضلون كل شيء ، فيتفاضلون فى العلم فمنهم العالم ومنهم الجاهل!!! ويتفاضلون في الرزق فمنهم الغني ومنهم الفقير!!!ويتفاضلون في الخلقة...فمنهم السوي ومنهم من دون ذلك وهكذا!!! فالدنيا لن يستقيم أمرها إلابالتفاضل فلو أن الناس جميعا أغنياء ما قبل أحدهم العمل عند الآخر وهكذا!!! قال تعالى : (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) .

• فالذي أعطاك هذا الفضل هو الله الذي حرمه منه ، فقد يعطى الله إنسانا مالا ويحرمه راحة البال وطمأنينة النفس!!! وقد يعطي الله إنسانا مالاً ويعطي الآخر من الحكمة والعلم ما لم يصل إليه صاحب المال...عندما رفض الملأ من بنى إسرائيل إمارة طالوت عليهم بسبب عدم السعة في المال بماذا أجابهم الله ؟ أجابهم بأن معه ماهو أفضل من المال فقال : (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) .

• فالسخرية بالناس من سمات الكفار قال تعالى : (زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) ويقول : (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاء لَضَالُّونَ * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ) فكان جزاؤهم فى الآخرة من جنس ما صنعوا فى الدنيا سخرية بهم قال تعالى : (فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) فالذى يسخر من فقير فما يدريه لعل هذا الفقير صدوق اللسان ، عفيف النفس ، محافظ على أوامر الله ونواهيه بينما هو مفرط فيها!!! وإن سخر من مرضه فلعل له دعوة مستجابة وهو محروم منها !!! .

• والسخرية قد تكون بكلمة أو نظرة أو بهمز أو لمز قال تعالى : (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) ومن صور السخرية في وقتنا المعاصر : ما نسمعه ونشاهده على الفضائيات من السخرية بالعلماء والمصلحين ، والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وغيرهم ، وتأليف القصص المكذوبة التي تسمَّى بالنكت عليهم ، فمن سخر بالعلماء والصالحين فهذا كفر صريح لأنه سخر من الله وآياته ورسوله قال تعالى : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) وكان الشيخ الشعراوي رحمه الله يتعرض لبعض الهمز واللمز من بعض الكتاب والصحفيين فلما كلموه في الرد عليهم قال : لن أعطيهم شرف الرد عليهم وقد أصاب فمن أقوال الإمام الشافعي :

يخَاطبني السَّفيهُ بكُلِّ قُبْحٍ * فأكرهُ أن أكونَ له مجيبا & يزيدُ سفاهةً فأزيدُ حلماً * كعودٍ زادهُ الإحراقُ طيبا

وآخر يقول :

إذا نطق السَّفيهُ فلا تُجِبْه * فخيرٌ من إجابتِه السُّكوتُ & فإن كلَّمته فرَّجت عنه * وإن خلَّيته كمدًا يموتُ

• فالبلاء موكل بالقول لذلك يقول بعض الصحابة يقول : لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلبا... فليحذر كل منا ذلك فأنت لاتدرى مكانة هذا عند ربه ، فلقد كان عبد الله بن مسعود رضي الله تعالي عنه خفيف اللحم قصير القامة دقيق الساقين فلما صعد نخلة ليأتي برطب فظهرت للأنظار ساقاة فضحك القوم منه وقال أحدهم : إن ساقه تشبه السواك ليس سخرية به بل وصفا له... فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مِم تَضْحَكُوْن ؟) قالُوْا : يَا رَسُوْلَ اللهِ نَضْحَك مِن دَقَّة سَاقَيْه...فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه لَهُمَا أَثْقَل فِي الْمِيْزَان مِن أَحُد)

• فلاينبغى لمسلم أن يخاطب غيره بقوله : أنا مين وأنت مين أنا ابن فلان وأنت ابن فلان ؟ فعن سهل ابن سعد رضي الله عنه قال : مرَّ رجل على رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا ؟) قالُوا يَا رَسُولَ اللهِّ!!!هَذَا مِنْ أَشْرَافِ النَّاس ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يَخْطُبَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ لِقَوْلِه...فَسَكَتَ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَرَّ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ : (مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا ؟) قالُوا : يَا رَسُولَ اللهِّ!! هَذَا مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ لَمْ يَخْطُبْ وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ ، وَإِنْ قَالَ لَمْ يُسْتَمَعْ لِقَوْلِه... فقالَ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْض مِنْ هَذَا ؟) .

• ثم يقول تعالى : (وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ) والتنابز بالألقاب هو : أن تذكره بماضيه بعد توبته أو بعد إيمان بشيء يكرهه من اسم أو صفة فقد روي أبو ذر بمكان وعليه حلة وعلى غلامه مثلها فلما سئل قالَ إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلاً فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ ، فَقالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يَا أبا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ إِنك امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ! إخوانكم خَوَلُكُمْ ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَمَنْ كان أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَلاَتُكَلِّفُوهُمْ مَايَغْلِبُهُمْ ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ) .

• فلا تقاس أقدار الناس بالمال ولا بخلقتهم فقد أصيب عروة بن الزبير فى ساقه فقال الطبيب لابد من بترها حتى لا يتفشى المرض في باقي الجسم فقطعت رجله ، وكان الناس يأتون يسلمون عليه ويعزونه في رجله فكان يغطي رجله عن الناس فدخل عليه صديق لايخفى عنه شيئا فكشف عن رجله ليراها...فلما رآها ضحك...فقال عروة : ما يضحكك على هذه المصيبة ؟ قال : نحن ما أعددناك للسباق أوالصراع ولكن أعددناك للعلم والفقه!!! وكان عروة من العلماء الكبار فى عصره فقال : والله ما عزاني أحد فيها كما عزيتني أنت... فلئن ذهبت ساقه فقد أعطاه الله من العلم والحكمة ما حرم به غيره .

• ومن القصص العظيمة التى تجعلنا نستصغر أنفسنا أمام هؤلاء الكبار قصة التابعي : أويس القرني رضي الله عنه الذى لم يره النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكنه بين فضله حيث قال صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه : (إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ وَلَهُ وَالِدَةٌ وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ) وأوصى صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمرَ بن الخطاب وعليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنهما فقال : (إذا لقيتما أويساً القرني فاسألاه أن يستغفر لكما فإنه مجاب الدعوة) فترصدا موسم الحج فى كل عام يسألان عنه فما عرفه أحد ، وفى موسم حج أقاما وليمة لوفد اليمن ثم قال سيدنا عمر لرئيس وفد اليمن : أبقي أحد لم يحضر وليمتنا ؟ قال : لا...إلا فتىً خامل الذكر يرعى إبلاً لنا ، فقال له سيدنا عمر : أهو آدم أشهل ذو صهوبة ؟ أدم : أسمر وأشهل : فى عينيه زرقه ذوصهوبة : أشقر الشعر فقال : كأنك تعرفه يا أمير المؤمنين ، فذهب عمر وعلي إليه فلما أتياه قالا له : من الرجل ؟ قال : راعي إبل وأجير قوم ، قالا : لسنا نسألك عن ذلك ما اسمك ؟ قال : عبد الله ، قال له علي رضي الله عنه : قد علمنا أن كل من في السماوات والأرض عبيد لله ما اسمك الذي سمتك به أمك ؟ قال : يا هذان من أنتما وما تريدان مني ؟ فقال عمر : أنا عمر بن الخطاب ، وهذا علي بن أبي طالب فانتفض واقفاً وقال : جزاكما الله عن الإسلام خيراً يا أمير المؤمنين ويا صهر رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أما أنتما فقد كان لكما شرف الصحبة لرسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!!!وأما أنا فقد حرمت هذا الشرف ، فقال له عمر : ما اسمك ؟ قال : أويس قال : فمن تركت باليمن ؟ قال : أما لي ، قال : أكان بك بياض فدعوت الله فأذهبه عنك ؟ قال : نعم ، فقال عمر : يا أويس إن النبي أمرنا أن تستغفر لنا وأن تدعو لنا!!! قال ياأمير المؤمنين أو يستغفر مثلي لمثلك ؟ ثم قال عمر : كيف تتصور النبي يا أويس ؟ قال : أتصوره نوراً يملأ الأفق ، فبكى عمر شوقاً إلى النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال عمر : يا أويس عظني قال : يا أمير المؤمنين اطلب رحمة الله عند طاعته ، واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاءك منه ، فقال عمر : أفلا نأمر لك بصلة ؟ قال : يا أمير المؤمنين أخذت على عملي أربعة دراهم فمتى تراني أنفقها ؟ وعليّ رداء وإزار فمتى تراني أخرقهما ؟ يا أمير المؤمنين إن بين يدي ويديك عقبة كئود لا يقطعها إلا كل مخفّ مهزول ، فبكى عمر وقال : ليت أم عمر لم تلد عمر ثم قال : يا أويس ألا تقيم عندنا ؟ قال : أريد الكوفة قال : أفلا أكتب لك إلى عاملها ؟ قال : أحب أن أكون في دهماء الناس ومضى إلى سبيله ، ومات في غمار خيمة من خيام المسلمين خاملاً في الأرض علماً في السماء!!! إنها السكينة التي يسعد بها الإنسان ولو فقد كل شيء ، ويشقى بفقدها ولو ملك كل شيء .

• فالناس جميعا سواسية خلقوا من أب واحد وأمة واحدة ولكنهم يتفاوتون بالتقوى قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) فالغنى أو الفقر ليس بيد أحد بل بيد الله سبحانه وتعالى فهو سبحانه يبسط الرزق لمن يشاء ويضيق الرزق على من يشاء لحكمة يعلمها قال تعالى : (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) وهكذا فى كل نعمة...

• فلا يحل لمسلم أن يعيب إنسانا بأي صورة هو عليها لأن عيبه لإنسان هو عيب لخالقه الذي خلقه على هذه الصورة كما لو وجدنا جداراً جديدا مائلاً فهل العيب فى الجدار أم لباني الجدار ؟ فالدميم ليس فى مقدوره أن يكون جميلا والقصير ليس باستطاعته أن يكون طويلا وهكذا ، فمن عاب المخلوق فقد اعترض على تصوير الخالق سبحانه وتعالى .

وعنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال :

(كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ)

لقد جاء قوله (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)
فالناس يتفاضلون فى العلم
فالذي أعطاك هذا الفضل
فالسخرية بالناس من سمات الكفار
فمن سخر إنسان من فقير فما يدريه لعله

والسخرية قد تكون بكلمة أو نظرة...
ومن صور السخرية في وقتنا المعاصر
وكان الشيخ الشعراوي
يخَاطبني السَّفيهُ بكُلِّ قُبْحٍ * فأكرهُ أن أكونَ له مجيبا
يزيدُ سفاهةً فأزيدُ حلماً * كعودٍ زادهُ الإحراقُ طيبا
إذا نطق السَّفِيهُ فلا تُجِبْه * فخيرٌ مِن إجابتِه السُّكوتُ
فإن كلَّمته فرَّجت عنه * وإن خلَّيته كمدًا يموتُ

فالبلاء موكل بالقول
فلاينبغى لمسلم أن يخاطب غيره بقوله

ثم يقول تعالى : (وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ)
فلا تقاس أقدار الناس...
فقد أصيب عروة بن الزبير
ومن الأمثلة التى تجعلنا نستصغر أنفسنا

فالناس سواسية لايتفاوتون إلا بالتقوى
فالغنى أوالفقر ليس بيد أحد إلا الله وحده
فلا يحل لمسلم أن يعيب إنسانا بأي صورة هو عليها
فالدميم ليس فى مقدوره أن يكون جميلا